ISSN: 2335-1071

مخبر الخطاب الحجاجي

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Septembre 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 15

Volume 04

فصل الخطاب
العدد الخامس عشر
سبتمبر 2016 Septembre Revue n°15
Faslo El-Khitab

ردمد: ISSN : 2335-1071

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

النسق العقدي في التأويل البلاغي
الفلسفة الهيرمينوطيقية...مدخل إلى أسس التأويل
اللغة الأدبية والفكر وعالم الأشياء
الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل
الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني

سبتمبر 2016

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والأجنبية

العدد 15

المجلد الرابع

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الخامس عشر

سبتمبر 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. درويش أحمد

د. كبريت علي

د. كراش بخولة

أ. تركي محمد

د. غانم حنجار

د. بوعرعارة محمد

د. قوتال فضيلة

د. مكيكة جواد

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

الفهـــــرس

- كلمة رئيس التحرير.....05
- الفلسفة الهيرمينوطيقية...مدخل إلى أسس التأويل(العزوني فتيحة).....07
- النسق العقدي في التأويل البلاغي، متشابه القرآن أنموذجا(عبد الرحمان عبد الدايم).....17
- اللغة الأدبية والفكر وعالم الأشياء(خليل بن دعموش).....35
- الخطاب الحجاجي من منظور تداولي "مقاربة نظرية"(عبد القادر شريف حسني).....51
- الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل
دراسة نماذج في البنية والأساليب(بوديلمي صلاح الدين).....69
- الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني
"سورة هود أنموذجا"(بوسكرة محمد).....85
- القرآن الكريم كلام الله المعجز(محمد رزيق).....101
- الرّؤيا والحلم في الأدب الصّوفيّ(عطار خالد).....111
- اللغة في رواية "فرانك شتاين في بغداد" لأحمد سعداوي(آلاء محسن حسن الحسني).....125
- وظائف العنوان وعلاقاته في شعر سميح القاسم(حسين علي ألدخيلي).....147
- النص الشعري القديم محددات صحته
بين وصف القدماء وتأويل المحدثين(بن عودة عطاطفة).....181
- المنهج النقدي عند النقاد المغاربة"ابن رشيق " نموذجا(بن عريبة راضية).....203
- الشروح الشعرية ومستويات قراءتها(بن لحسن عبد الرحمان).....209
- جمالية الحدث في الرواية بين التحقق والتوقع
"ضمير الغائب" لواسيني الأعرج. أنموذجا(جيلالي نور الدين).....227
- فعالية المؤشرات التربوية وأثرها في تقويم النظام التعليمي(بوهادي عابد).....239
- تداولية المقاربة بالكفايات في ضوء نظريتي الملاءمة والبنائية(طلحي ليلى).....261
- آليات التعريب في ظل ضوابط تمييز اللغة العربية عن الأعجمية(بن عزوز حليمة).....269
- مصطلح الكلمة النحوية بين التعريف والتوظيف (بن يمينة بن يمينة).....287

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا قبل:...

استطاعت مجلة (فصل الخطاب) منذ صدور عددها الأول حتى هذه اللحظة أن تمضي في تحقيق مشروع طالما بقي حلما يراود الأستاذ والطالب والباحث، لذلك أخذت المجلة على عاتقها تحقيق هذا الحلم بصبر وأناة وتحدّ للمعوقات المادية والمعنوية على كثرتها وجسارتها وتفاعلها مع محيط لا يدعو إلاّ للتثبيط والسلبية القاتلة، وسط هذا الجو المشحون بالرداءة والاسفاف انتفضت مجلة فصل الخطاب بطاقمها الفاعل والمتفاعل أن يحوّل السكون والسلبية إلى نافذة يرى منها الجامعي أستاذا كان أم طالبا ثقافات الآخر – مهما يكن أمر هذا الآخر- عن قرب، ويقيم الحوار معها، مع ما يحمله مفهوم الحوار من تفاعل مع هذا الآخر على نحو من الأنحاء، كما تسعى المجلة في خطها المرسوم لها ضمن أسسها ومنطلقاتها الفكرية بأن توفر للمتلقي النخبوي فرصة المعايشة مع المشاهد النقدية الغربية دون الانحياز لمنهج على آخر، فهي لا تحصر نفسها بأي اتجاه فكري محدد اللهم إلاّ ما يرسم خطها في تخصيص مقالات في الحجاج والبلاغة بشقيها القديمة والجديدة، لذلك فهي تسعى الى أن تقيم توازناً نسقياً بين المناهج النقدية كلها،

ومن ذلك ففي خط المجلة ليس مطروحا عندنا ثنائية التراث والحداثة على مستوى الوعي أو الكتابة لأنه لا يمكن مقاربته إلاّ من خلال وجودنا الراهن، ذلك أن التراث هو امتداد وجودنا. وعليه سعت المجلة في علاقتها مع التراث أن تردم الفجوة بينه وبين المثقف، فوجّهت جهود السّادة الباحثين للاغتناء منه دون الاستسلام له، ولم يتحصّل لها ذلك إلا بتغيير نمط التفكير في معاملتها مع التراث، باعتباره شرط وجودنا دون أن نتماهى معه أو ننفصل عنه. ولا يكون ذلك إلاّ بتخطي القيود والحواجز التي فُرضت علينا في التعامل معه، ذلك أنه يقبل الحوار ويقبل المناقشة .مادام ثمة إيمان بالتفاعل مع المنجز التراثي والحداثي، في إيقاع متشابك لا يتوقف ولا يهدأ.

فقد تخصص هذا العدد للتأويليات والهيرمنيوطيقا، ولكن لم يغب منظور الحجاج - على أنّ مجلة فصل الخطاب هي لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي - باعتباره فاعلية تأويلية من خلال تتبع استراتيجية المؤول أو المجادل برأيه أو بتأويله .فكان من الطبيعي تحديد تنوع استراتيجيات الخطاب، بحسب تنوع الخطابات والأغراض والاستراتيجيات التي تحدده ضمنيا وتوجهه في صمت، من خلال الكشف بآليات التأويل عن المقاصد المضمرة، والتضمينات المسكوت عنها، بما تمتلكه كفاءة المؤول ذاته، وهو لا يتأتى إلا بالتواطؤ - الضمني غير المعلن – بين طرفي التواصل من أجل إنتاج فعل التأويل وهو لا ينفك عن

الحجاج في إثبات أحقية التأويل. لذلك ظلت المقاربات المعاصرة تراهن على التأويل من حيث مركزيته في مقاربات الخطابات التراثية أو الحداثية، وهو ما تسعى إليه المقاربات النقدية الجديدة التي تعزف عن السياقات خارج النص باعتبارها حجبا توجه القراءة، بل وتتفرع عنه كقراءات لمستويات النص المتأول .

ففي عددها الخامس عشر ثمة مداخلات وإن تمركزت حول إشكالية التأويل إلاّ أنها تباينت في المقاربات منها: الفلسفة الهيرمينوطيقا...مدخل إلى أسس التأويل وهو تقعيد نظري الى النسق العقدي في التأويل البلاغي، متشابه القرآن أنموذجا و الخطاب الحجاجي من منظور تداولي "مقاربة نظرية ثم دراسة تطبيقية اجرائية تمثلت في الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل دراسة نماذج في البنية والأساليب مع مقاربة أخرى لم تبتعد كثيرا عنها الحجاج بالتمثيل في الخطاب القرآني "سورة هود أنموذجا".

إلى مقاربات أخرى في الشعر والسرد، وغيرهما من الأجناس الأدبية التي صارت هاجس الباحث، من خلال البحث والحفر والتنقيب، وهو ما تتغياه المجلة في خطها المرسوم، كونها فضاء للمعرفة والبحث واحترام الآراء على اختلاف توجهاتها وتصوراتها، ما دام ثمة حق للمعرفة واحترام الآخر لهذا الحق.

والله نسأل أن تبقى فصل الخطاب تستوعب البحث الجاد وتنقب عن الكفاءات داخل الوطن وخارجه إيمانا منها بأنه لا وطن للمعرفة ولا حدود لها،

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

الدراسات باللغة الأجنبية

Revue Périodique Publiée Par Le Laboratoire
D'études Sur Le Discours Argumentatif:
Ses Origines, Ses Références Et Ses Perspectives En Algérie

Faslo el-khitab

Traite Des Etudes Et Des Recherches Scientifiques, Critiques, Linguistiques, Littéraires Et Rhétoriques En langues, Arabe Et étrangères

ISSN 2335-1071

N° De Dépôt Légale: 2012 - 1759

Revue n° 15

Septembre 2016

Université Ibn Khaldoun Tiaret
Algérie

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com
Zerroukikader@gmail.com

PRÉSIDENT D'HONNEUR

Pr. Mederbal Khalladi
Recteur
Université Ibn Khaldoun/ Tiaret

DIRECTEUR RESPONSABLE

Pr. ZERROUKI Abdelkader
Directeur
Laboratoire Du Discours Argumentatif

RÉDACTEUR EN CHEF

Dr. BOUACHA Abderrahmane

COMITÉS DE RÉDACTION

LANGUE FRANÇAISE

Dr. BELARBI Belgacem
Dr. MALKI Benaid
KAFI Khaled
OUADAH Bouabdellah
Dr. MOSTEFAOUI Ahmed
Dr. AIT Amar Meziane Ouardia
FETHI Brahim
MOKHTARI Fatima Zohra

LANGUE ANGLAISE

Pr. Bahous Abbes
Dr. BENABED Ammar
HEMAIDIA Ghellamalah
Pr. Abdelhay Bakhta
Dr. HEMAIDIA Mohamed
SI MERABET Larbi

COMITE CONSULTATIF

Pr. KASCHEMA Laurent, Université de Strasbourg
Pr. CHAALAL Ahmed, Université de Blida
Pr. Ghellal Abdelkader
Dr. HASSANI F.Z, Université d'Oran

Sommaire

The Role of Reading in Improving Language Learning **Madani Habib**	**03**
Identity (Re) construction through Code Switching Practices via 'SMS Language' in Algeria: the Case of Relizane Speech Community **Ali BERRABAH**	**15**

الخطاب الحجاجي القرآني الموجه لبني إسرائيل
دراسة نماذج في البنية والأساليب

الطالب: بوديلمي صلاح الدين — إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

نحاول من خلال هذه المقاربة البحث في الأساليب الحجاجيّة التّي يستخدمها القرآن الكريم في حواره الحجاجي وجداله مع الآخر. ولمّا كان هذا الآخر أو المخالف مستوياتٍ ودرجات، فقد اقتصرت هذه المقاربة على الأساليب الحجاجيّة المختلفة التّي استعملها الخطاب القرآني الموجّه لبني اسرائيل باعتبارهم مستهدفين بشكلٍ واسعٍ من الخطاب القرآنيّ، فقد ورد فيهم غيرُ قليلٍ من الآيات التّي تبطل دعاواهم وتحاججهم وتجادلهم وتحاول إقناعهم بما أنزل الله من الذّكر الحكيم وأن تحملهم على الإذعان لدعوة رسول الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة.

الكلمات المفاتيح: الخطاب الحجاجي؛ الأساليب الحجاجيّة؛ القرآن الكريم؛ الحوار؛ بني اسرائيل.

The Qur'anic Argumentative Discourse Directed at the Israelites
Study of Models from the Viewpoint Structure and Styles

Abstract : In the present approach, we pretend to study the argumentative styles used in the holy Quran during its dialogue and debates with the other.Given that the latter, that is to say this recipient is very different on various levels and grades, we have limited our approximation to the multiple argumentative styles intended to the Israelites,as they are widely targeted by quite a few Koranic verses, which nullify their litigations, arguments and controversies in order to convince them of the revelation of God Almighty, and to induce them to obey the call of the Messenger of Allah Muhammad peace be upon him that they will find well quoted in the torah.

Keywords: Argumentative styles, revelation of God, structure, styles

تمهيد: أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليكون رسالة للنّاس أجمعين، ليبلّغهم أمر الله ومراده. قال تعالى: {هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[1].

تاريخ تسليم البحث: 06 نوفمبر 2015.

تاريخ قبول البحث:06 جوان 2016.

ولمّا كان القرآن الكريم كلام العليّ القدير، فقد اتّصف بالكمال والتّمام، فكلماته وأساليبه وعباراته ونصوصه كانت غاية في الإعجاز، فقد حوى المعاني الطوال في جملٍ موجزةٍ ميسّرة للفهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}[2].

وقد تعدّدت الخطابات القرآنية الموجّهة للمتلقّي، فمنها ما كان موجّها للمؤمنين ومنها ماكان موجّها لمشركي قريش ومنها ما كان موجّها لبني إسرائيل الذين جاوروا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في المدينة المنوّرة بعد الهجرة. وقد حظي بنو إسرائيل بنصيب لا بأس به من الخطابات القرآنية المتعدّدة، منها ما كان حوارا ومنها ما كان قصة ومنها ما كان وصفا.

لقد جاء الخطاب القرآني الموجّه لبني إسرائيل مليئا بالإيحاءات التّعبيرية والأساليب الجماليّة، وذلك لأغراضٍ حجاجيّة وإقناعيّة، فقد كان الخطاب القرآني يصبو إلى حمل بني إسرائيل على الإقتناع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، خاصَّة وأنّهم أهل كتاب وقد أوتوا العلم من قبل، وكانت لديهم في كتبهم معلومات على نبيّ آخر الزمان.

ومن هذا المنطلق فسنحاول في مقاربتنا هذه البحث في نماذج من الأساليب الحجاجيّة المتعدّدة التّي استخدمها الخطاب القرآني لإقناع بني إسرائيل بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقد تطرّقنا إلى نماذج من الأساليب المنطقيّة، ونماذج أخرى لغويّة وبلاغيّة.

أولا: نماذج من الأساليب المنطقية

أ) أسلوب السبر والتقسيم:

يستخدم القرآن الكريم أسلوب السّبر والتّقسيم، وذلك من أجل إفحام الخصم لعلمه بالعجز عن الإتيان بالحجّة الدّامغة، وأسلوبُ السّبر والتّقسيم يُعني به " الحصر المنطقي للموضوع الذي يكون فيه الجدال، وذلك بحصر أوصاف الموضوع بصفاتٍ لا تسوغُ إيراد الدّعوى فيها، فتبطل دعوى المجادل " [3].

ونجد ذلك في القرآن الكريم وهو " يجادل خصومه الذين يدَّعون على الله تعالى والأنبياء دعاوى باطلة لا تقوم على دليلٍ واضح ولا بيّنة حقَّة ذلك الأسلوب، فيسلك معهم طريقاً يطالبهم فيه بتصحيح تلك الدّعوى، بعد أن يثبت لهم بطلان مدعاهم وانعدام أساسه ودليله"[4]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن اليهود حينما ادَّعوا دعوى باطلة، والتي تمثّلت في جزمهم بأنهم سيعذّبون أياماً قليلة ثمّ يدخلون الجنّة، حيث قال الله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [5].

قال الإمام **الفخر الرّازي[ت604هـ]**: " قوله تعالى (**اتَّخَذتُمْ**) ليس باستفهام بل هو إنكار لأنّه لا يجوز أن يجعل تعالى حجّة رسوله على إبطال قولهم أن يستفهمهم، بل المراد التّنبيه على

طريقة الاستدلال وهي أنّه لا سبيل إلى معرفة هذا التّقدير إلا بالسّمع، فلمّا لم يوجد الدَّليل السَّمعي وجب ألاَّ يجوز الجزم بهذا التَّقدير"[6]. فالآية الكريمة تخيّر اليهود أحد أمرين:

- إمَّا أن يُثْبِتُوا أنَّ دعواهم صادقة بإثبات عهدٍ من الله تعالى، والله تعالى لن يخلفَ عهدهُ أبداً.
- وإمَّا أنَّ هذه الدَّعوى كاذبة، فهي إذن افتراءٌ وكذبٌ على الله تعالى، وهذا الافتراء والكذب سوف يعذِّبكم به الله تعالى لأنَّكم تقولون على الله مالا تعلمون.

ومن خلال هذين البعدين تحاصر الآية المخالف فلا يجد مناصاً من الاعتراف إمّا بالحقيقة التّي طُولبَ بالإيمان بها أو أنَّه يقف عاجزاً أمام دعواه الباطلة.

ج) أسلوب سؤال النّقض

وهذا الأسلوب يستخدمه القرآن الكريم لإقامةِ الحجَّة على الخصم بإبطال دعواه عن طريق إبطال العلّة التّي احتجّ بها، " فمن أصول الحوار والحجاج القرآنيِّ أنَّه يُظْهِرُ للمخالفِ ما في موقفه من التَّناقض إظهاراً لا يمكنه أن يتهرَّب منه، وإظهارُ التَّناقض يلزمه أن يتراجع ويصير إلى الموقف الحقّ "[7].

ومثال ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[8]. فالحجَّة التي تطلقها الآية على المخالف أنه ربط العلة بالمعلول ذلك أن " العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وجدت، فلم قتلتموهم فدلّ على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح. وهذا النقض وارد على معنى كلامهم فدلّ على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أيِّ وجه كان "[9]. وهذا الأسلوب القرآني يظهر التّناقض الواضح الذي وقع فيه اليهود، فهم من ناحية شرطوا شرطاً لكي يصدِّقوا نبوَّة محمَّد صلّى الله عليه وسلم، لكنَّ القرآن الكريم حاججهم بنقض دعواهم، وذلك أنَّهم يكذِّبون أنفسهم بأنفسهم، فقد جاءهم رسلٌ من قبل لكن كان جزاؤهم القتل والتَّكذيب. وقد تطرَّق **نجم الدين الطوفي [ت716هـ]** لهذه الآية الكريمة فقال في تفسيرها: " إن كان ما زعمتموه حقًّا فأحد الأمرين لكم لازم: إمَّا مخالفتكم عهد الله في أنبيائه وهو كفر، أو كذبكم في هذه الدَّعوى وهو محال لأنَّ ذلك يوجب بطلانها على تقدير صحَّتها، فيكون بطلانها لازماً لصحّتها فتكون باطلة، إذ ملزوم الباطل باطل "[10]. وهي حجّة مقنعة للعقل، تفنّد دعوى الخصم.

ح) إبطال دعوى الخصم عن طريق إثبات نقيضها

النّقيض هو المخالف، والتّناقض في الاصطلاح، هو " اختلافُ قضيّتين بالكيف، والكمّ؛ أي بالسّلب والإيجاب، والكلّية والجزئيّة، بحيث يفضي بذاته إلى أن تكون إحداهما صادقة، والأخرى كاذبة، ولا يمكن أن تكون القضيتّان صادقتين معاً، وإلاّ لزم اجتماعُ النّقيضين،

ولاكاذبتين معاً، وإلاّ لزم ارتفاع النّقيضين، وكلاَ الأمرين باطل"[11]. وعلى هذا، فإن التَّسليم بصدقِ إحداهما "يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى"[12]. وهذا ما دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل في كثيرٍ من آياته ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ }[13].

يقول **ابن كثير[ت774هـ]** في تفسيره للآية: " أيْ: قل يا محمَّد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيءٍ من الكتب من عند الله، في جواب سلبهم العام بإثبات قضيَّة جزئيَّةٍ موجبة: {مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى }"[14]. فهذه الآية الكريمة تسرد دعوى بني اسرائيل والتي تمثلت في أن الله تعالى لم ينزّل شيئاً من الوحي على أحدٍ من البشر، ثمَّ تنقضها من أساسها وتدمغها كما يدمغ الحقُّ الباطل فإذا هو زاهق، وهذا عن طريق إثبات نقيضها الصَّحيح؛ ألا وهو إنزال الله تعالى للتَّوراة التي يحتكم إليها اليهود ويعترفون بأنَّها أُنْزِلَتْ على موسى عليه السَّلام، إذن فبما أنَّهم يعترفونَ بأنَّ الله أنزل التَّوراة على موسى عليه السَّلام، فإنَّ دعواهم في أنَّ الله لم يُنزل شيئاً كاذبة.

وبعدما تناولنا بعضا من القضايا المنطقيّة التي تقيم الحجّة على الآخر وتحاوره من حيث منطلقاته، التّي عليها يقوم وبها يحاجج، فسننتقل لنعرض جانباً آخر من المقاربة الحجاجيَّة، وذلك باستعمال الأساليب البلاغيّة واللّغويّة.

ثانيا: نماذج من الأساليب اللّغويّة والبلاغيّة

أ) المستوى المعجمي

إنَّ الحديث عن المعجم يتعلَّق " باعتباره مخزناً يمدّ المتحاجّين المتشاركين في المقام الحجاجيّ بما يحتاجه من الكلمات والألفاظ، التّي تسعف في بناء الحجّة، وتقديمها خادمةً للفكرة بعد ذلك "[15]، وتحليل الكلمات والألفاظ والمفردات مهمٌّ في تحليل الخطاب، فعندما " تقع معاينة خطاباتٍ مختصَّةٍ، بل حتَّى خطاباتِ تقريبٍ للمعارف فلا مناصَ من دراسة الألفاظ المنتميةِ إلى الميدان المعني "[16]. وهو ما تقرّره الاستعمالات التَّداولية لحظة الحجاج.

فالفضاء المعجمي يدعم المتحاجّين أثناء العمليّة الحجاجيّة في تمتين الخطاب الحجاجي ويقوّيه، فهو يتيح الفرصة لبسط الحجج بسطاً منطقيّا وفي نفس الوقت هذا البسط يتميّز بقوّة اللّفظ المستخدم، فالألفاظ لا قيمة لها بذاتها؛ إنّما تكسب أبعادها ودلالتها ضمن التّراكيب المختلفة والمتعدّدة. وتعريف اللّفظة تعريفاً حجاجيًّا " يقتضي منّا أن نأخذ في الاعتبار دورها الدّلالي في التّأثير والإقناع وفي حمل متلقّي القرآن على التّسليم بالأطروحات المعروضة

عليهم فيه، فنقول في تعريفها: إنّها الوحدة المعجميّة –الصرفية- الإعرابيّة معاً القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سماتٍ دلاليّة إضافيّة من خلال علاقتها بالمقال الذي تردُ فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه على التّأثير في ذلك المقال والمقام بفضل ما لها من قيمٍ دلاليَّةٍ مختلفة بعضها مستمدّ من اللّغة نفسها وبعضها متأتٍّ من الاستعمال والتَّداول "(17).

ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد حوى بين دفّتيه ألفاظا وكلمات أكسبها البعد التّركيبيُّ إعجازا وجمالا، فهي من ربّ العالمين جلَّ شأنه، وكلماته سبحانه وتعالى لا تنفد، وكلّ كلمةٍ لها دلالاتٌ متعدّدة. ومحاولة فهمنا للمفردة القرآنيّة "لا ينبغي أن يقف عند الظّاهرة اللّغوية فحسب، بل لابدَّ من ربطها بسياقها والظّروف التي أحاطت بها زمانيًّا ومكانيًّا ونفسيًّا، فاختيار الكلمة القرآنيّة أمر لا يمكن إغفاله. والألفاظ المشتركة تُعدُّ من أبرز مظاهر الجمال في التَّعبير القرآني، حينما ننظر في الكلمات المتعدّدة التي يعبَّر بها عن معنىً من المعاني نلمس الدّقة في هذا التّعبير، بحيث لا يمكن أن يسدّ مسدَّها أيٌّ من الألفاظ المتقاربة في المعنى"(18). وهذا ما يفسِّر المعنى الدّلالي والجمالي لمظاهر الإعجاز القرآني.

وبالنسبة للخطاب القرآني الموجّه لبني إسرائيل فقد جاء غنيّا بالألفاظ والمفردات التّي تحيل إلى تاريخهم وعقليَّاتهم وطريقة تفكيرهم، وكذلك يظهر في تلك الألفاظ والمفردات الخصوصيَّة التي حظي بها بنو إسرائيل تاريخيًّا، فهم كانوا مفضَّلين من الله تعالى على سائر البشر، وقد جاءتهم رسلُ الله تتراً وتباعاً، غير أنَّهم كذَّبوا وأعرضوا بسبب غرورهم ونفسيَّاتهم المريضة.

وفي البداية يمكن لنا أن نلاحظ أنَّ القرآن الكريم قد استخدم في معجمه اللَّفظي وهو يخاطب بني إسرائيل تسمياتٍ متعدّدة ومختلفة، وقد اختلفت التَّسميات والألقاب في حقّهم بحسَبِ السِّياق الذي يفرض نفسه على اللَّقب الذي ينادون به ويخاطَبُونَ عن طريقه.

لقد استخدم القرآن الكريم في خطابِهِ لبني إسرائيل ألقاباً عديدةً نذكر منها:

- **بنو إسرائيل**
- **اليهود**
- **الذين أوتوا الكتاب**

وسنحاول اكتشاف الدّلالات والأبعاد الحجاجيّة التّي تحويها كلمة **(بنو إسرائيل)** التي وردت غير قليلٍ أثناء الخطاب الموجّه لهذا الصِّنف من أهل الكتاب.

ذكر **ابن عاشور** في تفسيره **التّحرير والتّنوير** سبب التّسمية **(بنو اسرائيل)** فقال: "وإسرائيل لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السّلام. قال ابن عبّاس: معناه عبد الله،

لأن [إسرا] بمعنى عبد و[إيل] اسم الله أي مركّب من كلمتين –إسرا- و–إيل- اسم الله تعالى كما يقولون بيت إيل"[19]، وقد جاء في كتب اليهود أن اسم اسرائيل دلَّ على معنى الاصطفاء والاختيار لسيّدنا يعقوب عليه السَّلام، ونورد نصًّا في هذا الصّدد من **سِفْرِ التَّكوين** حيث جاء فيه: "(...) فسأله: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل اسرائيل (...)"[20]. وما يهمّنا في النّص التَّوراتي هو التّخريج التّاريخي للتّسمية.

لقد قرّر القرآن الكريم مخاطبة اليهود بأحبِّ الأسماء لديهم ففي "إطلاق بنو إسرائيل على ذريَّة يعقوب وقد تواترت التّسميةعشرات المرّات في القرآن الكريم تشريفاً لهم ورفعاً من شأنهم، إذ هو يدعوهم بأحسن أسمائهم التّي اختارها الله لأبيهم، وتُذَكِّرُ التّسمية، بالتّداعي اللّحظة التّي بارك الله فيها أباهم وخلع عليه من اسمه وبشّره بكثرة النَّسل وعرش الملك، وتملُّك الأرض"[21]. إنَّ لقب بني اسرائيل يحوي دلالاتٍ وأبعاداً حجاجيَّة واضحة فهي تذكِّر القوم " بما عليهم من واجباتٍ مستحقَّة تجاه الله مثل ضرورة عبادته ووجوب شكرانه على نعمه التّالدة ومنها عدم جحد نعمه الطّارفة المتمثّلة في بعثة الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم وفي نزول القرآن فلا ينبغي إذن أن يكونوا أوّل كافر به. معنى ذلك أنّ في دعائهم بـ **(بنو إسرائيل)** استدراجاً لهم إلى ساحة الإيمان برسالةِ محمَّد صلَّى الله عليه وسلّم"[22]. وهو خطابٌ عادل بلا شكّ، ففيه استدراجٌ لهم للإذعان، وتهيئة نفسيّةٌ لهم للقبول بالحقّ.

وفي حديثه عن لفظ بني إسرائيل وضّح **الزّركشي [ت794هـ]** أن استعماله من قبل الخطاب القرآنيّ كان تحريضاً لليهود على القبول بالإسلام حيث يقول: "قد يكون للشّخص اسمان، فيقتصر على أحدهما لنكتة، منه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيّين **(يا بني اسرائيل)** ولم يُذكَرُوا في القرآن إلاّ بهذا دون **(يا بني يعقوب)**..وسِرُّهُ أنّ القوم لمّا خُوطبوا بعبادةِ الله، وذُكِّرُوا بدين أسلافهم، موعظةً لهم، وتنبيهاً من غفلتهم، سُمُّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه في التَّأويل، ولهذا لمَّا دعا النّبي صلّى الله عليه وسلّم قوماً إلى الإسلام يقال لهم 'بنو عبد الله' قال: 'يا بني عبد الله، إن الله قد حسّن اسم أبيكم'، يحرّضهم بذلك على ما يقتضيه اسمه من العبودية"[23]. وهذا الأسلوب هو من باب التّحبيب وجلب المخالف إلى الإيمان.

إنّ ممَّا نستشفُّه من كلام **الزّركشي** أنّ القرآن الكريم يهدف إلى أن يتذكّر هؤلاء نعم الله عليهم، وأن يستجيبوا لداعي الله تعالى، فيتَّعظوا ويتنبّهوا من غفلتهم، فتسمية **(بني إسرائيل)** "تنطوي على أمل إرجاع المدعوّين بها إلى حظيرة الحقّ، وهي تسميةٌ فيها تشريفٌ للمسمّين بها وتكليفٌ لهم في الوقت نفسه بأن يكونوا في مستوى الرّسالة التي كان نهض لها أبوهم"[24].

وأثناء الملاحظة لمفرداتٍ قرآنيَّة أخرى واردة في بني إسرائيل، نجدُ الكثير منها يُشِعُّ بدلالاتٍ قويّةٍ ومتجدِّدة ضمن التراكيب القرآنيّة المعجزة، فمثلاً في قوله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}[25]. ففي هذه الآية الكريمةنجد أنَّ اللّفظ (**يسومونكم**) يصوّر مدى المعاناة التي كان بنو إسرائيل يعانون منها في ظلّ حكم فرعون، فأصل الكلمة من السَّوم وهو "الذّهاب في ابتغاء الشّيء، فيقالُ سامتِ الإبلُ فهي سائمةٌ"[26]. يقول **الزمخشري [ت538هـ]**: "**(يسومونكم)** من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً، وأصله من سام السّلعة إذا طلبها كأنّه بمعنى يبغونكم (**سوء العذاب**) ويريدونكم عليه"[27].

إنّ هذه المفردة جاءت في التَّركيب المناسب ضمن السّياق المناسب، فيها يعود الخطاب القرآني بالذّاكرة الجمعيّة لبني إسرائيل لتلك المرحلة العصيبة التي مرّ بها آباؤهم وأجدادهم في ظلّ حكم فرعون مصر، فهو يذكّرهم بنعمة الله عليهم وتفضُّله بإنقاذهم من العذاب والظّلم والذلّة التي عاشوها، وهذا من أجل أن يعترفوا بالعناية الإلهيّة واللّطف الرّباني بهم، فيؤمنوا ويذعنوا للقرآن الكريم.

ونجد أيضا أن القرآن الكريم قد استخدم في محاججته لبني اسرائيل ألفاظاً عديدةً متقابلةً ومتضادّة، فكان جزءٌ منها يدلّ على النّعم التّي أنعم الله بها عليهم، والبركات التّي أسبغها عليهم نتيجة طاعتهم لله ولرسله وأنبيائه، وفي المقابل من ذلك جاء في القرآن ألفاظٌ أخرى تُحيلُ إلى العذاب والذّلة والمسكنة التّي جازاهم الله بها نتيجةَ كفرهم وصدودهم عن سبيلِ الحقِ والسَّبيل القويم.

إنَّ الألفاظ القرآنيّة الواردة في الخطاب الموجّه لبني إسرائيل إن دلَّت على شيء فإنّما تدلّ دلالةً واضحةً على الانقسام الذي حصل بينهم، فجزءٌ قليلٌ منهم تمسَّك بما أنزل الله من التّوراة، واتّبع الحقّ المبين، واتّبع أوامر الله سبحانه وتعالى، فكان الجزاءُ الإلهيُّ هو التّفضيل والرّحمة والإنعام بالخيرات. ولكن لمَّا كان فيهم أغلبيَّةٌ كفرت بالله وكذبت على الله تعالى وخالفت أوامره ونواهيه، كان الجزاءُ هو الإبعادُ من رحمة الله، والخزي في الحياة الدّنيا والوعيد والتّهديد بالعذاب في الآخرة. وفيما يلي تبيين لذلك[28]:

ألفاظ التفضيل	ألفاظ العقاب
فَضَّلْتُكُمْ	أَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ
نَجَّيْنَاكُمْ	أنزلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً
فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ
أَنْجَيْنَاكُمْ	الْمَسْكَنَة
عَفَوْنَا عَنْكُمْ	بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ
تَابَ عَلَيْكُمْ	كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ	جَعَلْنَاهَا نَكَالاً
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ	وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى	خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
رَزَقْنَاكُمْ	أَشَدِّ الْعَذَابِ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ	لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ
إِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ	لا يُنصَرُونَ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ	لَعَنَهُمْ اللَّهُ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ	بَاءُوا بِغَضَب
رَحْمَتُهُ	
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	

إنّنا نلاحظ التّضاد الواضح بين المفردات السّابقة، ففي خطابه لليهود الذين يجاورون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يذكّر القرآن الكريم بتاريخهم المزدوج، والذي تمثل في **(التفضيل الرباني)** لهم والنّعم التي أسبغها الله عليهم ظاهرةً وباطنة، لمّا كانوا مؤمنين ومستضعفين ومطيعين لأنبيائهم، غير أنّهم لمّا نكصوا وارتدوا على أدبارهم كافرين، وتزحزحوا عن الحقّ إلى الباطل، كانت النّتيجة وخيمةً في حقّهم، لقد باءوا بغضبٍ من الله وأصبحت الذّلة والمسكنة والشّتات والتّيه هي الجزاء الإلهي العادل.

المستوى التركيبي:

تلعب التّراكيب دوراً مهمّا في العمليّة الحجاجيّة، ذلك أنّ الكلمات المشعّة ذات البعد الحجاجي لا يمكن لها أن تؤدّي الغرض المنوط بها إلاّ إذا كانت ضمن تراكيب مميّزة لها،

"فمعلوم أنّ الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تَحزُن، ولا تتملّك قلب السامع، إنّما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه، بعذوبة مستمعه، ورقّة حواشيه "(29).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ السّياق يكتسي أهميّة كبرى أثناء العمليّة التّخاطبيّة أو التّواصليّة وفي التّحليل التّركيبي؛ ذلك أنّه هو من يجعل من الرّسالة ذات فعاليّة وتؤدّي وظيفتها الحقيقيّة، فالسّياق هو " الطّاقة المرجعيّة التي يجري القول فيها من فوقها، فتمثّل خلفيّة للرّسالة تمكّن المتلقّي من تفسير المقولة وفهمها. فالسّياق إذاً هو الرّصيد الحضاري للقول وهو مادَّة تغذيته بوقود حياته وبقائه. ولا تكون الرّسالة بذات وظيفة إلاّ إذا أسعفها السّياق بأسباب ذلك ووسائله "(30).

ولمّا كانت الصّيغ التّركيبيّة للخطابات متنوّعة ومختلفة ومتعدّدة، فسندرس أسلوبين من الأساليب البيانيّة التّي استخدمها القرآن الكريم في خطابه الموجّه لبني إسرائيل، ألا وهما أسلوبُ الالتفات وأسلوبُ الإطناب والإسهاب.

1- أسلوب الالتفات:

يعدُّ أسلوب الالتفات واحداً من الأساليب المؤثّرة في نفسيّة المتلقّي، ذلك أنّ " الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد "(31). وقد ذكره **ابن الأثير [ت622هـ]** مع جملة من أساليب البيان اللغوي، فقال عنه: "هو خلاصة علم البيان والتي حولها يُدَنْدَنْ، وإليها تستند البلاغة، وعنها يُعَنْعَنْ "(32).

إنّ هذا الوصف لأسلوب الالتفات يشي بأنّه من الأساليب البلاغيّة التي تجعل من الخطاب قوياً من حيث قيمته الحجاجية. ويكون هذا الأسلوب من الكلام خاصَّة، "لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كانتقال خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعلٍ ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ، أو غير ذلك"(33). ويصفه **ابن الأثير** –أي أسلوب الالتفات- "بشجاعة العربية، وإنّما سُمّي بذلك لأنَّ الشّجاعة هي الإقدام، وذاك أن الرّجل الشّجاع يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورّد مالا يتورّده سواه"(34).

ومن الآيات التي استخدم فيها الخطاب القرآنيّ أسلوب الالتفات قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً }(35).

إنّ المتأمّل في نظم هذه الآية يجد أنّ فيها " التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة، فقد بدأت الآية بأسلوب الخطاب في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ..} ثمّ انتقل هذا الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة في قوله: { أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ } ولو جرى

الكلام على مقتضى الظّاهر لقيل: أو نلعنكم، بأسلوب المخاطبة. يقول **السّمين الحلبي [ت756هـ]** في تفسيره **الدر المصون:** "في الآية التفاتٌ من خطابٍ إلى غيبة، وفيه استدعاؤهم للإيمان، حيث لم يواجههم باللّعنة بعد أن شرَّفهم بكونهم من أهل الكتاب"(36). فالخطاب القرآنيّ لم يواجههم مباشرة بالتّهديد والوعيد بل عطف بخطاب الغائب، ولهذا الأسلوب هدف حجاجي وإقناعي واضح.

إنّ هذا الالتفات في الآية الكريمة يحاول فيه الخطاب القرآني أن يصل إلى قلوب أهل الكتاب، الذين شرّفهم الله تعالى وفضّلهم على العالمين، بغيةَ أن يؤمنوا بمحمّد وبالذي أنزل عليه من الذّكر الحكيم، ويشير **أبو حيّان الأندلسي [ت745هـ]** إلى أنّ "محسِّنَ هذا الالتفات هو أنّه تعالى لمّا ناداهم كان ذلك تشريفاً لهم، وهز السّماع ما يلقيه إليهم، ثمّ ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل، ثمّ ذكر أنّ الذي نزل هو مصدّقٌ لما معهم من كتاب، فكان ذلك أدعى إلى الإيمان، ثم ذكر هذا الوعيد البالغ، فحذف المضاف إليه من قوله: { مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً} والمعنى: وجوهكم، ثم عطف عليه قوله {أَوْ نَلْعَنَهُمْ} فأتى بضمير الغيبة، لأنّ الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللّعنة ليس لهم ليبقى التّأنيس والهمّ، والاستدعاء إلى الإيمان غيرُ مشوبٍ بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السّامع ويروّع القلب، ويصير أدعى إلى عدم القبول، وهذا من جليل المخاطبة وبديع المجاورة"(37). وهذا الاستنتاج من أبي حيّان يبيّن لنا الهدف من استخدام الخطاب القرآنيّ لأسلوب الالتفات، فهو يهدف إلى أن يقبل المخاطَبُون بما جاء في القرآن الكريم من هداية ومن نور.

لقد حافظ الخطاب القرآني بأسلوب الالتفات في الآية على مشاعر المتلقّين من أهل الكتاب، فلم يكسر نفسيّتهم بالتّهديد والوعيد مباشرة في بداية الخطاب، بل بدأ بتشريفهم واستعطافهم بهذا التّشريف، وهذا من أجل أن يؤمنوا ويذعنوا للقرآن الكريم، وهذا بلاغة في الحجة، ويدلّ على أنّ الخطاب القرآني إنّما يريد من هؤلاء أن يقتنعوا لكي ينقذوا أنفسهم من عذاب الله ومن غضبه.

2- **أسلوب الإطناب والإسهاب:**

يأتي أسلوب الإطناب والإسهاب في الخطاب مقابلاً لأسلوب الإيجاز والإشارة، فيقال: "أطنبت الريح، إذا اشتدّت في هبوبها، وأطنب في السّير، إذا اشتدَّ فيه"(38). وقد عرفه **ابن الأثير** بأنه "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. فهذا حده الذي يميزه عن التطويل. إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة"(39). وقد يأتي الإطناب لتحقيق أغراض بلاغيّة متعدّدة منها(40):

- الإيضاح والتّفصيل بعد الإبهام والإجمال.
- إكمال لذّة السّامع والمتلقّي بالعلم بالشّيء.

❍ تفخيم الأمر وتعظيمه.

إنّ الاستقراء المتأنّي للخطاب القرآني الموجّه لبني إسرائيل يبيّن لنا أنّ معظمه قد نزل في الفترة المدنيّة، بمعنى أنّه قرآن مدني، وهذا يعود إلى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حينما هاجر إلى المدينة المنوّرة كان قد جاور فيها اليهود الذين كانوا يشكّلون أقليّة كبيرة في المجتمع اليثربي، وعلى هذا الأساس فقد كان لليهود (بنو إسرائيل) نصيب لا بأس به من الخطاب القرآني، حيث تشاركوا فيه مع المنافقين الذين تلقّوا صفعات قويّة من آيات الذّكر الحكيم التّي فضحتهم وبيّنت دسائسهم ومؤامراتهم، وتحالفهم مع اليهود ومشركي مكّة من أجل الإجهاز على الدّعوة الإسلامية.

إنّه ومن هذا المنطلق جاءت الآيات الكريمة التّي فيها خطابٌ موجَّهٌ لبني إسرائيل متميّزة بالإطناب والإسهاب والتّوكيد والتّكرار، عكس القرآن المكّي الذي كان فيه خطابٌ للمشركين العرب الذين يقطنون بمكّة، فقد تميّز بالاختصار والإشارة بعيداً عن التّطوال والإسهاب والزّيادة في الكلام.

إنَّ تواجد اليهود في المدينة المنوّرة "دعا إلى أسلوب الإطناب والإسهاب، ذلك أنّهم على علمٍ بالكتب السَّابقة، ودرايةٍ فيها، فهم بحاجة –والحالة هذه- إلى محاورةٍ ومجادلة، وبسطِ القول معهم، وتكراره "[41]، وقد أشار **الجاحظ[ت255هـ]** إلى هذه الخاصّية الأسلوبيّة في الآيات المدنيّة في قوله: "ورأينا أن الله - تبارك وتعالى- إذا خاطب العرب والأعراب أخرجَ الكلام مخرجَ الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم جعلهُ مبسوطاً، وزاد في الكلام "[42]. وهذا من أجل أن يقيم عليهم الحجّة من خلال هذا الإطناب خصوصا في الحوار والقصص الوارد في حقّهم.

إنّ هذا الأسلوب المتّبع من طرف الخطاب القرآنيّ كان يدعوا اليهود إلى أن "يعاودوا النّظر في موقفهم من القرآن، وأن يتبيّنوا سوء صنيعهم معه وقبحه، فينزجروا ويقلعوا عن لبس الحقّ بالباطل، وعن كتمان الحقّ، وعن نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم. وبالتّالي فلم يكن يجدي معهم الخطابُ القرآنيُّ المكّيُّ الموجزُ المقتضب، لقد كانوا بحاجةٍ إلى خطابٍ يُبْسَطُ القول فيه لمناقشة مزاعمهم، وردّ حججهم ودحضها، لإقامة الحجَّة عليهم، ولبيان خبيئةِ نفوسهم، وسوءِ ما انطوتْ عليه من الخبث والمكر، والالتواء والدَّهاء "[43].

لقد ورد في سورة البقرة فقط وهي سورة مدنيّة آياتٍ كثيرة تخاطب بني إسرائيل وتحاججهم وتدحض مزاعمهم، فقد حوت هذه السّورة دروسا متّصلة ببعضها البعض، موجَّهةً لهم، ومخاطِبةً لعقولهم وقلوبهم، لعلّهم يذعنوا ويتوبوا إلى بارئهم. فقد بدأ الخطاب القرآنيُّ من الآية[40] في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } إلى الآية [123]حيث قال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ}.

لقد جال الخطاب القرآنيُّ مع بني إسرائيل "جولةً واسعة؛ كانت لكشف موقفهم وفضح كيدهم؛ بعد استنفاد كل وسائل الدَّعوة معهم لترغيبهم في الإسلام، والانضمام إلى موكب الإيمان الجديد"(44).

ومما يؤكّد أن الخطاب القرآنيّ كان يرجو الإيمان من بني إسرائيل باستعماله الإطناب والإسهاب، هو أن أكثر الرّسل ذكراً في القرآن الكريم، هو رسول الله موسى عليه السّلام، وأكثر القصص القرآني تكرارا وإسهابا، كانت قصَّةُ موسى عليه السّلام، بالإضافة إلى قصصِ بني إسرائيل الأخرى مثل قصّة يوسف عليه السلام وغيرها.

إنَّ أسلوبَ الإطناب في الخطاب القرآنيّ الموجّهِ لبني إسرائيل كان نتيجةً طبيعيَّةً لنفسيَّاتهم المعروفة تاريخيّا، فلديهم تجارب مع أنبيائهم ورسلهم سابقاً، فقد عُرفوا بالجدال والمراء وكثرة الأسئلة الاعتباطية التي لا طائل منها ولا فائدة فيها، والقصص في ذلك معروفة، فيكفي دليلاً قصَّة البقرة الصّفراء، حينما شدّدوا على أنفسهم وسألوا أسئلة لا فائدة منها ولا طائل، وأيضا قصصهم في الجدال والمراء مع أنبيائهم وعلى رأس هؤلاء الأنبياء موسى عليه السّلام.

وقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}(45).

وأورد **الإمام الرّازي[ت604هـ]** أقوالاً ثلاثةً في تفسير الآية الكريمة، ورجَّح فيها القولَ الثَّالث حيث قال: "المراد بالآية اليهود، وهذا القول أصحُّ لأن هذه السّورة من أول قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي } حكايةً عنهم ومحاجَّة معهم ولأن الآية مدنيّة ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم، ولأنَّ المؤمن بالرَّسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدّلاً كفراً بالإيمان "(46).

ج) المستوى التّصويري:

إن ممّا يحمل المتلقّي على الاقتناع والإذعان للخطاب قوَّة التَّصويرِ ودقَّة التَّعبير التَّخييلي، فالتّصوير الفنّي والبلاغي في الخطابات تجعل من السَّامع ينبهر بها ممّا يجعله يقتنع بالحجج المتضمَّنة فيها، يقول **السّجلماسي[ت704هـ]**: "إنّ القول المخيّل هو القول المركّب من نسبة شيءٍ أو نسبِ الشَّيء إلى الشّيء دون اغترِاقِها، تركيباً تذعن له النّفس فتنبسط عن أمورٍ وتنقبض عن أمور من غير رويّة وفكر، وقلنا دون اغتراقها لأنّها لو اغترقت لكان إيّاه. والسّبب

في هذا الإذعان والانبساط: الإلتذاذ الكائن للنّفس النّاطقة من إدراك النِّسَبِ والاشتراكات والوُصل بين الأشياء..."[47].

وعلى هذا الأساس جاء الخطاب القرآني عامّة والخطاب الموجّه لبني إسرائيل خاصّة، مليئاً بالصّور البيانيّة والبلاغيّة من استعارات وتشبيهات وكنايات ومجازات، وكان القصد في ذلك إقناع المخاطبين والسّامعين وحملهم على الإذعان. وكما يقول **سيد قطب**: "التّصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن"[48].

ومن بين الصّور البلاغيّة التّي يستخدمها الخطاب القرآني الاستعارةّ؛ وهي وسيلة من "الوسائل اللّغوية التي يستغلّها المتكلّم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة، بل إنّها من الوسائل التّي يعتمدها بشكلٍ كبير جدّا، ما دمنا نسلّم بفرضيّة الطّابع المجازي للّغة الطبيعيّة، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهريّة للّسان البشري"[49].

وقد استخدم الخطاب القرآني الموجّه لبني إسرائيل الاستعارة في مواضع عديدة، نذكر منها قوله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[50].

يظهر في التّعبير القرآني وهو يدحض زعم اليهود أنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أيّاما معدودات تصويرٌ فائق الجمال والجلال، ففي قوله تعالى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} "استعارة فيها كناية عجيبة من عظم الخطيئة، لأنّ الشّيء لا يحيط بالشّيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغا غير قالص، وزائداً غير ناقص"[51].

إنّ الاستعارة في هذا الخطاب لتعطي حياةً حقيقيّة للمعنى، إنّه تعبير مليء بالحياة والحركيّة والتّصوير الجمالي، يقول **سيد قطب** في تفسيره للآية الكريمة: "{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} الخطيئة كسب؟ إن المعنى الذّهني المقصود هو اجتراح الخطيئة. ولكنّ التّعبير يومئ إلى حالة نفسيّة معروفة..إنّ الذي يجترح الخطيئة إنّما يجترحها عادةً وهو يلتذّها ويستسيغها؛ ويحسبها كسباً له- على معنى من المعاني- ولو أنّها كانت كريهة في حسّه ما اجترحها، ولو كان يحسّ أنّها خسارة ما أقدم عليها متحمّساً، وما تركها تملأ عليه نفسه، وتحيط بعالمه؛ لأنّه خليق لو كرهها وأحسّ ما فيها من خسارة أن يهرب من ظلّها – حتّى لو اندفع لارتكابها- وأن يستغفر منها، ويلوذ إلى كنفٍ غير كنفها. وفي هذه الحالة لا تحيط به، ولا تملأ عليه عالمه، ولا تغلق عليه منافذ التّوبة والتّكفير..وفي التّعبير: {وأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ}..تجسيم لهذا المعنى. وهذه خاصيّة من خواصّ التّعبير القرآني، وسمة واضحة من سماته؛ تجعل له وقعاً في الحسّ يختلف عن وقع

المعاني الذّهنية المجرّدة، والتّعبيرات الذّهنية التي لا ظلّ لها ولا حركة. وأيّ تعبير ذهني عن اللّجاجة في الخطيئة ما كان ليشعّ مثل هذا الظلّ الذي يصوّر المجترح الآثم حبيس خطيئته: يعيش في إطارها، ويتنفّس في جوّها، ويحيا معها ولها. عندئذ..عندما تغلق منافذ التّوبة على النّفس في سجن الخطيئة..عندئذ يحقّ ذلك الجزاء العادل الحاسم: "{فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }"(52).

لقد أراد الخطاب القرآنيّ بهذه الاستعارة دحض ادعاء اليهود، فاستعمل هذا التّصوير الحسّي الذي يحوي طاقة ترهيبية تدعو إلى التّوقف عندها، فكأنّ من اجترح السّيئات ولم يتب ولم يندم ولم يعد إلى الحقّ، فكأنّه محاطٌ من كل جانب ومن كل صوب، فذلك ليس له جزاء سوى النّار، وهذا جزاء الله العادل لكلّ من أعرض عن الحقّ وادعى دعاوى كاذبة عنه سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول أنّ الخطاب القرآني الموجّه لبني إسرائيل يبيّن أنّ هذا القرآن لا يرفض الآخر أيّا ما كان، ولا يستبعده ولا يقصيه، بل يحاوره ويجادله ويحاججه، مستعملا في ذلك شتّى الأساليب المنطقيّة والبلاغية واللّغويّة التّي تختلف باختلاف السّياقات وتتنوّع بتنوّع المخَاطَبين والمتلقّين لهذا الخطاب.

مراجع البحث وإحالاته:

1) سورة ابراهيم، الآية [52]

2) سورة القمر، الآية [17]

3) طه عبد الله محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص217.

4) المرجع نفسه، ص233.

5) سورة البقرة، الآية [80]

6) الرازي محمّد فخر الدين، مفاتيح الغيب، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج3، ص153.

7) محمود أحمد الزين، حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، الإمارات، ط1، 2011م، ص20.

8) سورة آل عمران، الآية [183]

9) ابن الحنبلي ناصح الدين، استخراج الجدال من القرآن الكريم، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص70.

10) الطوفي نجم الدين، علم الجذل في علم الجدل، تحقيق: ڤولفهارت هاينريشس، النشرات الإسلامية ج32، يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية [ألريشهارمان وأنطون م. هاينن]، يطلب من دار النشر فرانز شتاينربڤيسبادن، 1987م، ص108.

11) يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 2001م، ص215.

12) الشريف الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت، ص61.

13) سورة الأنعام، الآية [91]

14) ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1999م، ج3، ص300.

15) محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار -تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري-، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص173.

16) باتريك شارودو-ودومينيك منغنو[إشراف]. بالاشتراك مع مجموعة من المؤلفين، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عن الفرنسية: عبد القادر المهيري-حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص583.

17) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفارابي،بيروت،ط1،2007م، ص68.

18) عبد الله محمد الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط1، 2006م، ص255.

19) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص451.

20) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح 32/ الآية 28-29.

21) عبد الله صوله، المرجع السابق، ص225.

22) المرجع نفسه، ص225.

23) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ج1، ص160-161.

24) عبد الله صولة، السابق، ص229.

25) سورة البقرة، الآية [49]

26) الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، دت، ص256.

27) الزمخشري أبو القاسم جار الله، تفسير الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009م، ص76.

28) سورة البقرة، الآيات: [47-49-50-51-52-54-55-56-57-58-59-61-63-64-65-66-79-85-86-88-90-122]

29) ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، 1957م، ص27.

30) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج معاصر-، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، ط4، 1998م، ص10.

31) الزمخشري، المصدر السابق، ص29.

32) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، دط، ج2، ص167.

33) المصدر نفسه، 167-168.

34) نفسه، 168.

35) سورة النساء، الآية [47]

36) السّمين الحلبي أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ج3، ص701.

37) أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود/ علي محمد معوض/زكريا عبد المجيد النوني/أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ج3، ص279.

38) ابن الأثير، السابق، ج2، ص343.

39) نفسه، ص344.

40) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص196.

41) عبد العزيز بن صالح العمّار، الخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن القرآن، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2007م، ص43.

42) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص94.

43) السيد عبد المقصود جعفر، مقدمة في خصائص الخطاب القرآني بين العهدين المكّي والمدني، نقلا عن: عبد العزيز بن صالح العمّار، الخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن القرآن، المرجع السابق، ص44.

44) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003م، مج1، ص64.

45) سورة البقرة، الآية [108]

46) الفخر الرازي، السابق، ج3، ص254.

47) السجلماسي أبو محمد القاسم الأنصاري، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980م، ص219.

48) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط17، 2010م، ص37.

49) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص105.

50) سورة البقرة، الآية [80-81]

51) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1955م، ص116.

52) سيد قطب، في ظلال القرآن، السابق، ص86.